

العدد: 08 الشهر 12 السنة: 2021م	مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية
إشكالية المنهج في الخطاب الميتانقدي العربي -دراسة في نماذج مختارة-	ص 13 - ص 36 د. أمينة بن خاوة

إشكالية المنهج في الخطاب الميتانقدي العربي

-دراسة في نماذج مختارة-

**The problem of methodology in the Arab metacritic discourse
-a study in selected models-**

د. أمينة بن خاوة

جامعة يحيى فارس - المدية (الجزائر)

benkhaoua.amina@univ-medea.dz

تاريخ الاستلام: 2021/04/28 تاريخ القبول: 2021/09/30 تاريخ النشر: 2021/12/28

ملخص:

تطرح هذه الورقة البحثية إشكالية المنهج في "نقد النقد"، من منطلق أن تحديد الخطوات الإجرائية وضبط الجهاز الاصطلاحي لمقاربة الخطاب النقدي شرط ضروري لتحقيق ممارسة علمية وموضوعية، ومن خلال اطلاعنا على المنجز الميتانقدي النظري والتطبيقي والأكاديمي لاحظنا أن هذه القضية تُشكّل إشكالية؛ لاسيما وأنّ نقد النقد حقل معرفي قُتِي ما يزال في مرحلة التأسيس - عند العرب والغرب على حدّ سواء- ومازال بعض الباحثين يصدرّون قراءات تحليلية غير ممنهجة، ولا يمنع ذلك من وجود جهود عربية طرّحت رؤية منهجية، وقد اقترحت خطوات إجرائية ارتأى هذا البحث مقارنة بعض هذه الدراسات للكشف عن مختلف اتجاهات الخطاب الميتانقدي العربي؛ من حيث الالتزام بالمنهج.

الكلمات المفتاحية: نقد النقد (الميتانقد)، المنهج، الاستيمولوجيا، المنهج الوصفي.

Abstract:

This research paper raises the issue of the methodology in "Metacritic" from the basis that determining the procedural steps and controlling the terminological apparatus to approach critical discourse is a necessary condition for achieving a practical and objective practice. Through our review of the theoretical, applied and academic metacritic achievement, we noticed that this issue

مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية	العدد: 08 الشهر 12 السنة: 2021م
ص 13 - ص 36 د. أمينة بن خاوة	إشكالية المنهج في الخطاب الميتانقدي العربي - دراسة في نماذج مختارة -

is problematic, especially since criticising the criticism is a young field of knowledge that remains In the establishment stage among Arabs and the West alike, some researchers are still doing analytical readings that are not systematic, and this does not prevent the existence of Arab efforts that presented a systematic vision and suggested procedural steps. This research sought to approach these studies to uncover the various trends of the Arab metacritic discourse in terms of adherence to the approach.

Key words: Metacritic (Critisism of critic), methodology, Epstimology, descriptive approach.

1. تمهيد:

يعتبر "نقد النقد" من أحدث المجالات المعرفية التي ما تزال في مرحلة التأسيس ويعوزها جهد كبير لبثورة جهازها الاصطلاحي والمفاهيمي، وكذا الإجرائي، ويشهد هذا المجال إقبالا واسعا في الوسط النقدي العربي منذ أواسط القرن العشرين، ذلك أن المنجز النقدي العربي يتطلب مراجعة وتحليلا؛ نظرا للإشكاليات التي تعتوره كإشكالية المصطلح وتطبيق المناهج الغربية على نصوص من الثقافة العربية، فعسى أن يجد نقد النقد لها حلولاً ويفتح آفاقاً للنقد العربي بعيدا عن القوالب التراثية الجامدة أو التحيز للمقولات الغربية، ولتحقيق هذا الهدف المرجو لا بد من وضع النقد تحت مجهر قراءة ميتانقدية ممنهجة، تتبعد عن الانتقاد والوصف الذي ينتج استنتاجات وخلاصات لا تطرح البدائل ولا تفتح آفاقاً جديدة، فهل يكتسب المنجز الميتانقدي العربي الوعي الكافي بضرورة صياغة منهجية قرائية في نقد النقد؟.

2. مدخل إلى قضايا نقد النقد.

إن "نقد النقد" من الحقول المعرفية الحديثة اصطلاحاً ومفهوماً لا ممارسة، فلا شك أن كل فعل يُتبع برد فعل وكذلك الكلام، فمن البديهي أن يكون أول خطاب جمالي إبداعي قد أتبع بنقد وهذا الأخير بدوره قد تلتته تعليقات وانتقادات وخطابات عاينت مواطن

مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية	العدد: 08 الشهر 12 السنة: 2021م
ص 13 - ص 36 د. أمينة بن خاوة	إشكالية المنهج في الخطاب الميتافيزيقي العربي - دراسة في نماذج مختارة -

القصور فيه، وأخرى أكدت رؤيته وسلطت الضوء على جوانب أغفلها بدوره، وإن كنا لا ندري متى تكلم الإنسان أدبا غير أن المؤرخين حدّدوا بداية النقد مع "جمهورية" الفيلسوف الإغريقي "أفلاطون"، والمسرحي الكوميدي "أريستوفانيس" من خلال مسرحياته الساخرة والناقدة وعلى رأسها مسرحية "الضفادع"، وذلك في القرن الرابع قبل الميلاد، أما نقد النقد في شقه النظري فقد بدأ مع "أرسطو" في كتابه "فن الشعر" الذي طرح رؤية مغايرة لنظرية المحاكاة الأفلاطونية، في حين تأخّر ظهور نقد النقد التطبيقي إلى غاية القرن 4هـ عند العرب حيث ازدهرت الحركة النقدية العربية، أما عند الغرب فقد انتظر إلى غاية ظهور الطباعة والنشر وظاهرة التعليق على ما يكتبه النقاد في القرن 15 ميلادي (ينظر باقر جاسم محمد، 2009، ص 107، 108). غير أنّها خطابات لم تصدر عن وعي بممارسة ميتافيزيقي موضوعها النقد الأدبي؛ تراجع، وتحاوره، وتكشف أنساقه، إنّما تمظهرت في سجلات وانتقادات استمرت إلى بدايات القرن العشرين، دون أن تُصنّف تحت باب "نقد النقد".

إنّ ظهور مصطلح "نقد النقد" "Critique de la critique" في الساحة النقدية وتصنيف الخطابات التي تدخل في هذا المجال لم يتم إلا «خلال العقود الخمسة السابقة، ودل تردده على إرهاصات ولادة وعي جديد، يسعى إلى التفريق بين "النقد" بصفته موضوعا و"نقد النقد" بصفته فعلا يختبر ذلك الموضوع ويدرسه ولا يقول بوجود تطابق بينهما. وهذا الوعي ما يزال منذ ذلك الوقت يبحث عن المفهوم المجسد له، ويبحث عن الصيغ النظرية والإجرائية له، وهو حتى الآن ليس سوى مشروع يصعب تحديده وتعريفه وظيفته ومقاصده... وهكذا يمكننا أن ندعي أن مفهوم "نقد النقد" إلى يومنا هذا مازال

*- لم يكن هذا المصطلح بمنأى عن إشكالية المصطلح التي تعرفها شتى المجالات في الوطن العربي، فقد ترجمه جابر عصفور بالنقد الشارح، كما أطلق عليه عبد المالك متراض مصطلح قراءة القراءة، بينما انتصر باقر جاسم محمد لمصطلح الميتافيزيقي، ونحن نستعمل مصطلحي النقد النقد لشيوعه، والميتافيزيقي في كثير من المرات في حالات النسبة والإضافة، وإننا ننحاز له لأنه يحمل شروط المصطلح من اقتصاد لغوي ودقة.

مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية	العدد: 08 الشهر 12 السنة: 2021م
ص 13 - ص 36	إشكالية المنهج في الخطاب الميتافيزيقي العربي - دراسة في نماذج مختارة -
د. أمينة بن خاوة	

"مفهوما" بشيد وييني» (محمد الدغمومي، 1999، ص 113). إنَّ التطور الذي وصل إليه النقد الأدبي في العصر الحديث وتشعب مناهجه ونظرياته ومدارسه لاسيما مع تحولات الحداثة وما بعد الحداثة دفع إلى تأسيس نقد النقد ليرافق هذا المسار النقدي والتطور السريع الذي تشهده النظريات والمناهج ويتتبع خلفياته الإيديولوجية وأنساقه الثقافية ويختبر آلياته الإجرائية ويعاين إمكانيات الناقد لتحقيق الأهداف التي تتوخاها المناهج من خلال فحص عملية التطبيق.

في إطار تفكيك السرديات الكبرى والمراكز والتسوية بين الخطابات -الفن والنقد على سبيل المثال- في فكر ما بعد الحداثة والسيولة الحاصلة حُقِّ لنقد النقد أن يكسر مركزية النقد ويجعل منه خطابا مفتوحا على القراءة والمراجعة الدائيتين وهذا بطبيعة الحال يحول دون تجمد النقد ومناهجه، كما أن تحديد مصطلح نقد النقد ومجاله يعني وضع حدود بينه وبين النقد الأدبي من خلال تحديد عمل وموضوع النقد الأدبي بوصفه تحليلا للخطابات الإبداعية الأدبية، أما نقد النقد ف«ينزل هذه العبارات [النقدية] منزلة الموضوع، ويضعها موضع المسألة، مختبرا سلامتها المنطقية واتساقها الفكري، ويصعد منها إلى الأنساق التي تحتويها محلا أبعادها الوظيفية ودلالاتها التأويلية، مترجما الأنساق إلى مقولات أو مبادئ تصويرية تؤسس حضور النظرية» (جابر عصفور، 1998، ص 286، 287). وعليه وجب على ناقد النقد أن يتخلى عن تبني مناهج النقد الأدبي مع ضرورة المعرفة الجيدة والعميقة بالنقد ومناهجه وآلياته وتطبيقاته والاطلاع على مناهج البحث في العلوم الإنسانية من أجل تحقيق خطاب واصل مستقل عن موضوعه -النقد-.

إنَّ حادثة هذا المجال المعرفي حالت دون امتلاكه رؤية منهجية واضحة ولم يرق إلى مستوى النظرية، ذلك «أن الدراسات المتعلقة بوضع ضوابط تفصيلية لتحليل النصوص النقدية من أندر الأعمال في مجال نقد النقد. ونقصد بذلك ضوابط التعامل مع النصوص النقدية، نظرية كانت أم تطبيقية، علما بأن وجودها من شأنه أن يساعد على إيجاد أجوبة

مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية	العدد: 08 الشهر 12 السنة: 2021م
ص 13 - ص 36 د. أمينة بن خاوة	إشكالية المنهج في الخطاب الميثانقدي العربي - دراسة في نماذج مختارة -

واضحة للأسئلة الأساسية التالية: كيف نستطيع تحديد المنطلقات المنهجية لناقد معين سواء صرح بها أم لم يصرح؟ ما هي حدود المتن المعتمد من قبل الناقد في التحليل؟ ما هي وسائل الإقناع المعتمدة؟ ما هو الهدف أو الأهداف الأساسية للبحث؟ وكيف يتم اكتشافها؟ هل هناك انسجام أو عدم انسجام بين الجانب النظري، والجانب التطبيقي وكيف تمت البرهنة على ذلك؟ هل تمكن الناقد من تقديم معرفة إضافية بالنصوص المدروسة؟» (حميد حمداي، 2014، ص 16). ويمكن أن نصف الخطاب الميثانقدي بالاستراتيجية القرائية التي ما يزال النقاد يعملون على بلورة آلياتها للانتقال بها من الاستراتيجية إلى المنهج. فما موقع المنجز الميثانقدي العربي من الوعي بالقراءة المنهجية في ظل الأزمة المنهجية والاصطلاحية الذي يعيشها العرب في شتى المجالات المعرفية؟

3. الوعي بإشكالية المنهج في المنجز الميثانقدي العربي

عرّف نقد النقد إقبالاً واسعاً في الساحة العربية منذ بواره الأولى التي كانت تحت مصطلح "الانتقاد" في القرن 19 (ينظر محمد الدغموي، 1999، ص 113). وزاد الإقبال عليه بعد ترجمة "سامي سويدان" لكتاب "تزييفتان تودوروف" "نقد النقد؛ رواية تعلم"، غير أن الملاحظ على الخطاب الميثانقدي العربي عدم الانجراف وراء المقولات الغربية ونلفي نوعاً من الاجتهاد، ذلك أن الغرب ذاته مازال لم يوطر نقد النقد ولم يحدد مقولاته المفاهيمية والمنهجية بشكل نهائي؛ فتوظيف تودوروف لمصطلح نقد النقد في كتابه جاء بشكل عفوي تعوزه رؤية منهجية؛ إذ مارس فيه «نقد النقد» عملياً، ودون تنظير، وذلك من خلال محادثته مع (بول بنينو) وسواه، فضلاً عن أنه أتاح لـ (بنينو)، حرية الرد على تساؤلاته، وإجاباته، فقد تعامل معه بوصفه شخصية في رواية، تتحرك وتتحدث بحرية. إذن لم ينصرف إلى البحث النظري في (نقد النقد)، أو تخصيص حيز واضح ومستقل له. وبذلك يكون جلياً أن مفهوم تودوروف لنقد النقد لا يتعدى عملية مناقشة أعمال النقاد الآخرين، فهو لم يقدم له تعريفاً واضحاً، ولم يبين عمله على نحو يفصح عن فهم مغاير للممارسة السائدة

مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية	العدد: 08 الشهر 12 السنة: 2021م
ص 13 - ص 36 د. أمينة بن خاوة	إشكالية المنهج في الخطاب الميتانقدي العربي - دراسة في نماذج مختارة -

في نقد النقد» (رشيد هارون، 2012، ص 129). ورغم الدراسات والمقالات الهائلة الذي تلتها لم يهتم أحد بضرورة تأسيس نظرية لنقد النقد، وظلت الكتابات عاجزة عن إرساء آلياته ومصطلحاته وبقيت تدور في إطار سجل مع النقد الأدبي «فهذه الكتابات لم تنظر إلى مسألة نقد النقد على أنها قضية ترقى إلى مستوى تأسيس لفرع معرفي جديد بقدر ما هي نقد للنظريات القائمة وتصويب لأحكام نقدية بحق نص أدبي بعينه، وتسديد لمسارات ربما تكون قاصرة عن الوفاء بشروط النقد الأدبي. فهي بهذا الوصف أقرب إلى مفهوم الانتقاد critique. وإلى ما يعرف بالمعارك الأدبية التي شهدتها الثقافة الأدبية العربية منها إلى مفهوم نقد النقد التطبيقي الذي يضم كلا من الانتقاد والنقد الأدبي criticism في صيغة متوازنة» (باقر جاسم محمد، نقد النقد أم الميتانقد، ص 111). فعلى نقد النقد ليرقى إلى مستوى النظرية أن يجعل له خطابا قرائيا خاصا مستقلا عن النقد الأدبي من خلال صياغة الآليات، المصطلحات، الأهداف، والرؤية.

ولا يعني القول بعجز الباحثين عن الارتقاء بنقد النقد إلى مستوى النظرية أن الأمر هين وذلك لطبيعة موضوع الدراسة ذاته، ذاك أن النقد الأدبي محكوم بأنساق مضمرة وخلفيات كما أنه يتعامل مع أجناس أدبية مختلفة ذات لغة إبداعية فنية وعليه يتحكم في القراءة الميتانقدية طبيعة المنهج أو النوع الأدبي أو خلفية الناقد المدروس ومرجعياته، فليس من السهل تحديد خطوات إجرائية لنقد النقد بشقيه النظري والتطبيقي وفي تعامله مع نقد الشعر كما النقد الروائي بنفس المعايير، هذا ما يدفع بالنقاد إلى القراءة الوصفية المحايدة أو ما أطلق عليه النقاد المغاربة - محمد مفتاح، محمد الدغمومي، حميد لحمداني - القراءة الاستيمولوجية - كما سنرى بعد هذه الفقرات - ، كما دعوا إلى تبني استراتيجية تحليلية تتلاءم وطبيعة الموضوع المدروس، فالمتأمل في القراءات الميتانقدية يلقي النقاد إما ينتجون قراءة خاصة وإن كانت غير ممنهجة، وإما أنهم يتبعون منهجا نقديا وهذا ما يرفضه الكثير من منظري نقد النقد حيث يقول "حميد لحمداني" إن ناقد النقد «ضمنا لا يطرح سؤالا

مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية	العدد: 08 الشهر 12 السنة: 2021م
ص 13 - ص 36 د. أمينة بن خاوة	إشكالية المنهج في الخطاب الميتانقدي العربي - دراسة في نماذج مختارة -

عن مؤهلاته الخاصة للاضطلاع بهذه المهمة الشاقة، ذلك أن نقد النقد هو نقد في مستوى آخر من البحث المعرفي. وعلى كل مهتم به أن يستوعب مبادئه وآلياته وأن يميز بينه وبين المناهج الخاصة بدراسة الأدب... ويبدو لنا أنه من غير المناسب أن يتبنى ناقد النقد تلك المناهج التي يتبناها نقاد الإبداع، لأنه في هذه الحالة سيكون موقفه محددا سلفا، فإذا اختار على سبيل المثال الرؤية السوسولوجية منهجا له، فهذا يعني أنه سيتعاطف مبدئيا مع جميع نقاد الإبداع الإيديولوجيين وسيعلم، بسبب ذلك، رفضه للمناهج الأخرى التي تركز على التحليل النفسي أو التحليل الألسني أو الدراسة الموضوعية أو البنيوية» (حميد حمدي، 2014، ص 9). ولا يمنع ذلك من الاستفادة من المعطيات المنهجية في حقل النقد الأدبي مثل "الوصف".

إن من واجب ناقد النقد أن يكون ضليعا بالمناهج النقدية وخلفياتها وآلياتها وجهازها الاصطلاحي بل عليه أن يكون أكثر إلماما بها من الناقد الأدبي ولعل هذا ما يجعل نقاد النقد «ينطلقون من شعور خفي بالتعالي يجعلهم يعتقدون تلقائيا بأن دراساتهم في غنى عن التقيد بأي منهج، مادامت مادة موضوعهم هي النصوص النقدية التطبيقية الصادرة في أساسها عن مناهج معينة. فإذا كانت المناهج في صورتها التطبيقية هي موضوع دراساتهم فما الداعي إذن إلى تقيد دراسات من مهامها الرئيسية أن تتأمل في الأعمال النقدية ذاتها وتعمل على تقويمها ورصد حالات تألقها أو عثراتها؟» (حميد حمدي، 2014، ص 7). فهذا التأرجح بين الانتقاد والتعالي انعكس سلبا على إنتاج قراءة موضوعية قابلتها دراسات واعية بضرورة التقيد بخطوات إجرائية، وعليه تراوح الخطاب الميتانقدي بين التحلل من القيود المنهجية وإنتاج قراءة خاصة لا تقدم مقولات نظرية حول نقد النقد، و دراسات أخرى أخذت على عاتقها التنظير والبحث عن مبادئ ومفاهيم واقتراح الشروط والآليات التي ينبغي السير عليها.

العدد: 08 الشهر 12 السنة: 2021م	مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية
إشكالية المنهج في الخطاب الميتانقدي العربي-دراسة في نماذج مختارة-	ص 13 - ص 36 د. أمينة بن خاوة

إنَّ المتتبع للمنجز الميتانقدي العربي سيجد أن الدراسات التي ألفت في هذا المجال تصب في تتبع مسار النقد العربي وتأثره بالمنجز الغربي ومناقشة إشكالاته المختلفة وكذا مراجعة الكتب النقدية التطبيقية، يرى أحد الباحثين في نقد النقد العربي وهو "سامي سليمان أحمد" في كتابه "حضرية نقدية، دراسات في نقد النقد العربي المعاصر" أن دراسة نقد النقد العربي يجب أن تقوم بدراسة المؤثرات الغربية على النقد العربي لأن المناهج الغربية تشكل الأطر المرجعية للنقد العربي الحديث وذلك تجنباً لانغلاق الدراسة وقصورها إلى جانب دراسة المناهج والخطابات النقدية والنقاد في سياقها الاجتماعي (ينظر سامي سليمان أحمد، 2006، ص 10، 11). وهذه الدراسة من أندر الدراسات التي تناولت قضايا نقد النقد ونقد النقد العربي بالتحديد؛ حيث حدّد مبادئ نقد النقد ودوره وطبيعة القراءة الميتانقدية، يقول «إن دراسة النصوص النقدية هي تأويل لها ينطلق من استنباط العلامات اللغوية والبحث عن دلالاتها التي يستطيع الناقد/القارئ أن يصفها- اعتماداً على التحليل الواصل بينها والمتابع لتحولاتها داخل النصوص- بأنها ذات دلالة شاملة على هوية تلك النصوص. ويتصل بذلك البحث المتأني عن المصطلحات التي ترد في النصوص-موضع الدراسة- والمنطلقات النظرية الأساسية فيها والعمليات التي يعتمدها منتجو الخطابات النقدية وسائل لتحويل صيغهم ومقولاتهم النقدية إلى إجراءات عينية تهدف إلى تثبيتها- أي الصيغ والمقولات- في سياق الخطاب النقدي المنتج وفي سياق التلقي الاجتماعي للنقد» (سامي سليمان أحمد، 2006، ص 10).

بناءً عما سبق نستنتج بأنَّ الباحث يمتلك الوعي الكافي بضوابط التحليل؛ فالنقد بنية من العلامات اللغوية التي لا بد لنقد النقد أن يعتمد في تحليلها على التأويل كما على ناقد النقد أن يتتبع الجهاز الاصطلاحي والأهداف التي يحددها النقاد، ومختلف عمليات التحليل والخطوات المتبعة، ونلمح عند هذا الباحث أيضاً رؤية مستمدة من النقد الأدبي من خلال تقسيم نقد النقد بحسب زوايا النقد المختلفة التي لا بد من دراستها: زاوية النص

مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية	العدد: 08 الشهر 12 السنة: 2021م
ص 13 - ص 36	إشكالية المنهج في الخطاب الميتافنقي العربي -دراسة في نماذج مختارة-
د. أمينة بن خاوة	

النقدي، زاوية القارئ/الناقد، ماهية النقد، هوية المتلقي الذي يتلقى الخطاب النقدي (ينظر سامي سليمان أحمد، 2006، ص7). أي اتجاه سياقي، واتجاه نسقي، واتجاه قرائي.

وفي دراسة أخرى لـ "عمر عيلان" تحت عنوان "النقد العربي الجديد؛ مقارنة في نقد النقد" يتناول الباحث أيضا قضايا المنهج النقدي ومدى تمثل النقاد العرب للمناهج النقدية الغربية الحديثة عبر مجموعة من الدراسات لسيزا قاسم، سعيد يقطين، عدنان بن ذريل، حميد لحداني، جورج طرابيشي، رجاء نعمة، سامي سويدان، محمود أمين العالم، سعيد علوش فقد عرج على افتتاح النقد العربي على مشروع الحداثة كما رصد النقد البنوي والنقد النفسي والنقد البنوي التكويني في الممارسة النقدية العربية كما يقف عند مراحل افتتاح النقد العربي على النظريات والمناهج الغربية وحركة الثقافة التي شهدتها النصف الثاني من القرن 20 (ينظر عمر عيلان، 2010). اعتمد الباحث على القراءة الوصفية وعلى الاستقراء دون أن يتقيد بخطوات معينة يسير عليها في تحليله لكنه تحلى بقدر كبير من الموضوعية والحياد، وابتعد كل البعد عن الانتقاد الذي يضر بالدراسات التي تتوخى العلمية.

وإن غاب الانتقاد في عمل "عمر عيلان" فهو موجود في كتاب "الحبيب مونسى" "نقد النقد، المنجز العربي في النقد الأدبي؛ دراسة في المناهج" فملاحظ في هذا العمل أن الباحث لم يتقيد بمنهج في القراءة فهو مراجعة للنقد العربي من النقد القديم إلى غاية الانفتاح على المناهج الغربية السياقية (الاجتماعية والنفسية)، النسقية ولكنه في حقيقته نقد نقد نظري توجه إلى انتقاد التلقي العربي للمناهج أكثر من تتبع المنجز النقدي العربي المعاصر، حيث يقول «إن النتائج التي يفترض أن تتسع لها الخاتمة قد سجلت في نهاية كل فصل على اعتبار أنها إشارات على فساد الرؤية وخطل التطبيق، وليس أمام هذه الخاتمة إلا أن تقدم دعوة مفتوحة لإعادة استثمار النقد التاريخي، والاجتماعي والنفسي استثمارا جديدا واعيا بالرؤية المعرفية والجمالية التي تدفع الدارس للاستفادة منها، إننا حين نحاور التاريخي والاجتماعي والنفسي والجمالي في أعمالنا الأدبية إنما نحاور الإنساني في الإبداع بشكل عام،

مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية	العدد: 08 الشهر 12 السنة: 2021م
ص 13 - ص 36	إشكالية المنهج في الخطاب الميتافيزيقي العربي - دراسة في نماذج مختارة -
د. أمينة بن خاوة	

لنصل إلى حقيقة التواصل في ذلك الفعل النبيل» (الحبيب المونسي، 2007، ص 198). مما يعني تتبع مواطن الخطأ في تطبيق المناهج دون تقديم نماذج تطبيقية تدلل على ذلك فهي دراسة غلب عليها الانتقاد كما أنها دعوة للمراجعة أكثر من كونه قراءة منهجية.

ومن أبرز الخطابات التي تناولت قضية مثاقفة النقد العربي مع المناهج الغربية عبر دراسة نموذج نقدي دراسة الناقد المغربي "محمد براءة" الموسومة "محمد مندور وتنظير النقد العربي" إنه لا يقدم منهجية عامة في نقد النقد ولكنه يرى بضرورة التقيد بمنهج معين في دراسته، يقول «أما عن نقط الخطوط العامة لهذه الدراسة فقد استمددناها من استجواب أدلى به محمد مندور لأحد النقاد وقسم فيه مساره النقدي إلى ثلاث مراحل: تأثيرية، وتحليلية، ثم أيديولوجية» (محمد براءة، 2005، ص 32). ويظهر من هذا تحكم مسار الناقد المدروس ومرجعياته والسياق الذي عاش فيه في تحديد منهجية الدراسة، وعليه تناول في الفصل الأول (مندور والمثاقفة أو المرحلة التأثيرية) يتطرق فيه إلى نشأة مندور والتكوين الثقافي لمندور وتأثره بـ "الثقافة العربية، الثقافة الغربية وكوستاف لانسون"، والفصل الثاني (الحقل الأدبي في مصر من 1936 إلى 1952) وقف فيه على جانب مهم في حياة مندور وهو انخراطه في العمل السياسي، أما في الفصل الثالث (مرحلة النقد التحليلي) يعرض فيه جوهر الكتابات التي نشرها مندور بين 1954 و 1960، وهي في معظمها محاضرات ألقاها بمعهد الدراسات العليا للجامعة العربية أي تحوله إلى المنهج الاجتماعي والفصل الرابع (النقد الإيديولوجي والتنظير) تطرق فيه إلى السياق الإيديولوجي للكاتب في مصر في الفترة مابين 1952 و 1965.

لقد أنتج قراءة خاصة أسهم بها في إثراء مجال نقد النقد العربي ومعالجة قضاياها وإشكالياتها ومن أجل ذلك تتبع خصوصية المنهج عند مندور، غير أن التركيز جاء على العوامل الخارجية والأنساق الثقافية المؤثرة في رؤية الكاتب والمناهج التي تبناها لأن براءة هدف أساسا لمراجعة إشكاليات النقد العربي، ورأى في محمد مندور الناقد الذي يحوي

مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية	العدد: 08 لشهر 12 السنة: 2021م
ص 13 - ص 36 د. أمينة بن خاوة	إشكالية المنهج في الخطاب الميتانقدي العربي-دراسة في نماذج مختارة-

الأنساق الثقافية والمرجعيات المتحكمة في المنجز النقدي العربي فهو يرى بضرورة تتبع هذا المنجز عبر دراسة مرجعيات النقد ولذلك يقول «توخينا الاستفادة في دراستنا من المناهج والأبحاث المنجزة في مجال علم الاجتماع الأدبي وتطبيقاته النقدية لأنها تعطي الأسبقية للجعلدية التاريخية» (محمد براءة، 2005، ص 27). حتى أننا لا نجد فصل بين منهج دراسة الأدب ودراسة النقد لأنه بالأساس يبحث في السياق الثقافي للمنجز العربي سواء أكان أدبا أم نقدا، لذلك تبنى المنهج الاجتماعي والمنهج البنوي التكويني في قراءته، ونحن كنا قد أشرنا إلى ضرورة انصراف نقد النقد عن مناهج النقد الأدبي، ومهما يكن من أمر فإن الوعي بالقراءة الممنهجة كان حاضرا في هذه الدراسة.

صدر في العقود الأخيرة عناوين كثيرة تضم مصطلح نقد النقد من قبيل "دراسات في نقد النقد العربي أو في نقد النقد في المغرب العربي، قراءة في نقد النقد، دراسات في نقد النقد" وقد لاحظنا أن هذه العتبة من شأنها لفت الانتباه والإيهام بأنها دراسة تنظيرية في نقد النقد -وما أوجبنا إلى مثل هذا المنجز-، وهي توهم بأنها نقد من درجة ثالثة موضوعه المدونة الميتانقدية وليس هو في حد ذاته سوى دراسة نقدية من درجة ثانية على الدراسة النقدية الأولى، وبذلك سيصنف القارئ الكتاب في مجال التنظير لنقد النقد وهي في أغلبها قراءات ميتانقدية تطبيقية تخلو من أي تقديم نظري حول نقد النقد ولا تحمل الوعي بقضاياها وعلى رأسها قضية المنهج، هذا ما يجعل الباحثين يتجهون إليها مباشرة ويتم إغفال دراسات وبحوث قيمة في هذا المجال مثل أعمال "حميد لحداني"، "محمد مفتاح"، ومن هذه الأعمال التي توقعنا في فخ سحر العنوان كتاب "محمد صابر عبيد" "اللغة الناقدة؛ مداخل إجرائية في نقد النقد" وهو يقصد باللغة الناقد لغة نقد النقد على اعتبار لغة الإبداع الأدبي هي اللغة الأولى التي ينجزها الأديب واللغة الثانية هي لغة نقد الإبداع ينجزها الناقد أما الثالثة فهي اللغة الناقدة التي تحوي اللغتين معا (ينظر محمد صابر عبيد، 2011، ص 6). يشدُّ الكتاب الباحثين إليه ولكن بعد الانتهاء من قراءته لا نجد تطابقا بين العنوان والمحتوى؛ إذ إن الكاتب

العدد: 08 الشهر 12 السنة: 2021م	مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية
إشكالية المنهج في الخطاب الميتانقدي العربي-دراسة في نماذج مختارة-	ص 13 - ص 36 د. أمينة بن خاوة

لا يقوم بالتعريف باللغة الناقدة التي هي نص نقد النقد ولا يحدد شروطها وبعدها الاصطلاحي، وإنما أراد بذلك أن يحدد المجال الذي ينتمي إليه عمله وهو نقد النقد

لم يهتم محمد صابر عبيد في عمله هذا بتنميق اللغة واستعمال المصطلحات والكلمات على نحو غير مألوف لكننا نلفيه يعمل على تمطيط الفكرة ومن ثم العبارة، كما أنه لم يتقيد بآليات معينة تجمع بينه وبين المدونات الميتانقدية حيث تناول فيه قضايا متفرقة؛ الثقافة العربية الحديثة وتحدياتها وكذا نقد الشعر ومناقشة الريادة الشعرية الحديثة وكذا نظرية السرد، كما أنه لم يشر إلى قضية المنهج التي لا تنفصل عن اللغة الناقدة التي يتحدث عنها وهي اللغة التي يجب أن يمتلكها نقد النقد.

4. البعد الاستيمولوجي لنقد النقد من منظور نقد النقد المغربي -محمد الدغمومي، حميد لحداني، محمد مفتاح-.

1.4 ضوابط القراءة الميتانقدية عند محمد الدغمومي:

دراسة "محمد الدغمومي" الموسومة "نقد النقد وتنظير النقد العربي المعاصر" من أهم المصادر العربية في مجال نقد النقد، وهي دراسة تنظرية تهدف إلى التفريق بين خطاب نقد النقد وخطاب تنظير النقد ولأجل هذا حدّد "محمد الدغمومي" مجال اشتغال نقد النقد في أربع خطابات: خطاب تأريخ النقد، خطاب تحقيق النقد، خطاب تعليم النقد، خطاب تنظير النقد وحتى تكون هذه الخطابات ضمن الدرس الميتانقدي نظرا لتداخلها مع النقد الأدبي وتاريخ الأدب وتنظير النقد فلا بد من توفر مجموعة من الشروط يحددها "محمد الدغمومي" في النقاط الآتية: (ينظر محمد الدغمومي، 1999، ص 11، 12).

1- لا بد لهذه الخطابات أن تُشكّل مشروع تفكير في بديل في مجال النقد.

2- لا بد أن تكون مشروعا مؤسس على سؤال مركزي بمثابة فرضية.

مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية	العدد: 08 الشهر 12 السنة: 2021م
ص 13 - ص 36	إشكالية المنهج في الخطاب الميتافيزيقي العربي - دراسة في نماذج مختارة -
د. أمينة بن خاوة	

- 3- استراتيجية تتوخى تغيير المشروعات السابقة؛ إنتاج صورة مغايرة.
- 4- مبنية على وعي إبستمولوجي يستوعب مرجعية محددة.
- 5- تتضمن مفاهيم نسقية متضامنة مستقلة.
- 6- تمتلك لغة اصطلاحية.
- 7- يجب أن تمتلك قوة استدلالية تُحقِّق المعقولة والمقبولة.
- 8- تمتلك صبغة نظرية معبر عنها، مقترحة أو معدلة لصبغة سابقة.
- 9- لها مجموعة قواعد مستمدة من مرجعية محددة (نظرية أو منهج أو علم).
- 10- أن تمتلك أدوات إجرائية يسيطر من خلالها على موضوع الدراسة.

صحيح أنَّ الدغمومي في دراسته لم يقدِّم منهاجاً لنقد النقد؛ لكنَّه أكد على الضوابط التي ينبغي أن تُؤطر أي ممارسة ميتافيزيقيَّة وعلى طبيعة القراءة الإبستمولوجية*، التي تتجاوز الوصف والانتقاد والتكرار إلى الخلق، وتقديم خطاب بديل، يقوم على ترسانة اصطلاحية ويسير وفق خطوات إجرائية مستقلة - وإن استمد بعضها من النقد الأدبي والعلوم والنظريات الأخرى ولاسيما علم المعرفة - تنطلق من إشكالية وفرضية لها نسق ومرجعية معينة، إنها خاصيات وشروط تعطي نقد النقد صبغة النظرية وتحقق البعد المنهجي وتمكنه من تجاوز مرحلة المقولات التأسيسية إلى مرحلة النظرية، وهي شروط ضرورية في كل المناهج والعلوم والنظريات التي تهدف لتحقيق قدر معقول من الموضوعية. فالقول بإبستمولوجيا خاصة بالنقد يعني تحليل النقد الأدبي من خلال دراسة مرجعياته ومبادئه وتحديد فرضياته، وتتبع

*- الإبستمولوجيا أو علم المعرفة هي النظرية التي تختص بدراسة العلوم وتحدد موضوعها ومبادئها وإجراءاتها جاء في المعجم الفلسفي لجميل صليبا (الإبستمولوجيا لفظ مركب من لفظين: أحدهما إبستيم (Epistémé) وهو العلم، والآخر لوجوس (Logos) وهو النظرية أو الدراسة. فمعنى الإبستمولوجيا إذن نظرية العلوم، أو فلسفة العلوم، أعني دراسة مبادئ العلوم، وفرضياتها، ونتائجها، دراسة انتقادية توصل إلى إبراز أصلها المنطقي، وقيمتها الموضوعية)، جميل صليبا، 1982، ص 33.

مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية	العدد: 08 الشهر 12 السنة: 2021م
ص 13 - ص 36 د. أمينة بن خاوة	إشكالية المنهج في الخطاب الميتانقدي العربي - دراسة في نماذج مختارة -

نتائجه، والحق أن هذه الرؤية ليست من معين العقل الغربي بل هي من بنات القريحة الغربية وهذا ما سيتضح في قراءتنا لمنجز "حميد حمداني".

1.2 منهجية التحليل الميتانقدي عند حميد حمداني:

لم يؤلف حميد حمداني كتابا تحت عنوان نقد النقد ولكنه من أهم رواد نقد النقد في الوطن العربي كممارسة، وكذا من خلال خطابه التنظيري ووعيه بقضايا نقد النقد وعلى رأسها قضية المنهج، ويظهر ذلك في مقدمة كتابه "سحر الموضوع" وهو كتاب في نقد النقد يدور حول النقد الموضوعاتي؛ أصوله في الغرب، وممارسته في النقد العربي وارتأى الكاتب أن يبدأ كتابه بقسم حول منهجية نقد النقد ليوضح طريقة تحليله ودراسته للنقد بل والأهم وضع منهجية عامة قابلة للتطبيق في كل ممارسة في نقد النقد التطبيقي «لأنها أولا تتساءل عن مدى صلاحية المناهج المتبعة في معالجة الإبداع بالنسبة لدراسة وتحليل الأعمال النقدية، وثانيا لأنها تبحث في البعد المعرفي والابستمولوجي لنقد الأعمال النقدية، وأخيرا تطرح سؤالا أساسيا عن الموقف الذي ينبغي أن يتخذه ناقد النقد حين يدرس أعمالا نقدية تعالج هي وحدها مباشرة نصوصا إبداعية أدبية؟ أهمية هذه الأسئلة تأتي من كوننا قد لاحظنا أنه قليلا ما يتساءل المشتغلون بنقد النقد... عن المنهج الذي يحتكمون إليه في دراسة من هذا النوع» (حميد حمداني، 2014، ص7). وعليه قد ألقى حمداني على عاتقه مسؤولية الإجابة عن هذه الأسئلة من خلال تحديد طبيعة القراءة الميتانقدية والتشديد على الوعي الذي ينبغي لناقد النقد أن يمتلكه حول قضايا نقد النقد.

إن القراءة التي يدعو إليها حمداني هي القراءة الوصفية المحايدة الابستمولوجية المستقلة عن النظريات والمناهج النقدية موضوع الدراسة فعلى ناقد النقد «أن يشتغل في الحقل الابستمولوجي. ويتضح لنا أن نقد النقد، بحكم تخصصه في تأمل مناهج النقد الأدبي، سواء في جانبها النظري أم التطبيقي، مدعو إلى استخدام أداة الوصف، فهي وسيلته الأساسية للنظر في الأعمال النقدية التي من شأنها أن تدرس الفنون الأدبية، أما أن يلجأ

مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية	العدد: 08 الشهر 12 السنة: 2021م
ص 13 - ص 36 د. أمينة بن خاوة	إشكالية المنهج في الخطاب الميتانقدي العربي - دراسة في نماذج مختارة -

ناقد النقد إلى دراسة منهج بنفس المنهج أو بغيره ودراسة نظرية بنظرية، فهذا يعني أنه سيواجه إيديولوجية بإيديولوجية أخرى مغايرة لها، وعندئذ سيتعد عن تحقيق القدر الضروري من الموضوعية في تحليلاته وأحكامه النقدية. إذن يبقى الجانب الوصفي البنائي هو البديل الذي يمكن من اقتحام عالم الاتجاهات النقدية الروائية وكذلك اقتحام أنماط الممارسات التحليلية المصاحبة لها» (حميد لحداني، 2014، ص10). إنه يشترط على ناقد النقد أن يستمد أدواته الإجرائية من الحقل الاستيمولوجي كما أنه يركز على الجانب الوصفي التحليلي، وهو اختيار منهجي لم يغفل عنه نقاد آخرون كجابر عصفور، محمد الدغمومي ولكن رؤية لحداني تميزت بمحاولة إخراج الوصف من دائرة الوصف المؤسس على أفكار قبلية تجعل منه وصفا سلبيا أو وصفا لأجل الوصف وفي هذا الباب يقول «إلا أن حياد الوصف كثيرا ما يقود إلى إعادة إنتاج المادة الموصوفة بطرائق أخرى مثل تقديم الخلاصة أو الشرح (sommaire) والتوضيح، ونكون عندئذ أمام تحصيل ما قد حصل. لهذا حاولنا أن نتهدي بالمناهج التي تولدت في حقل نظرية المعرفة النقدية، واستفدنا من بعض الدراسات التي كتبت حول هذا الموضوع، رغم أنها لم تكن تتحدث عن النقد الروائي أو الشعري بالذات لأن همها الأساسي كان هو البحث عن محددات أي نظرية أو منهج لدراسة الأدب تتوفر على الشروط الكافية لقيام دراسة علمية موثوق بها، وهل معنى هذا أننا نتبنى نزوعا علميا لدراسة الأعمال النقدية؟ نعم، وهذه حاجة ملحة بالنسبة لدراسة الممارسات النقدية للأدب» (حميد لحداني، 2014، ص11). وفي قوله هذا وعي صريح بضرورة علمنة الدراسات النقدية وذلك بالتقيد بالخطوات المنهجية المضبوطة، وعدم الاكتفاء بالشرح والتلخيص.

من خلال اطلاعه الواسع على المنجز الميتانقدي - رغم ملاحظته الغياب الكبير للوعي بقضية المنهج- وقع على دراسة أكاديمية صاغت ضوابط إجرائية تصب في مجال الاستيمولوجية ركيزتها الوصف، يقول «وضعت الباحثة الاستيمولوجية " جوهانا ناتالي" Johanna natali، في مقال نقدي لها يناقش الدراسات النقدية التي تناولت: "قطط"

مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية	العدد: 08 الشهر 12 السنة: 2021م
ص 13 - ص 36 د. أمينة بن خاوة	إشكالية المنهج في الخطاب الميتافنقي العربي - دراسة في نماذج مختارة -

بودلير بالتحليل، مدخلا ستمته: مسائل في المنهج. والواقع أنها حددت فيه بعض المبادئ الأولية التي ينبغي أن يتوفر عليها كل دارس للنصوص النقدية مهما كان النوع الأدبي الذي تتخذ هذه النصوص موضوعا لها، لذلك وجدنا من الضروري الاستفادة من هذه المبادئ لأنها ستساعدنا في ضبط التعامل مع دراسات نقد الرواية التي نختارها في الجانب التطبيقي» (حميد حمدي، 2014، ص 17). وهي إجراءات تخص نقد النقد التطبيقي طبقتها الباحثة جوهانا ناتالي* في قراءتها لخطاب نقد الشعر واستثمرها لحدادي في قراءته للنقد الروائي وكذا في دراسته لنقد الشعر، ولكن بحكم ميله للنقد الروائي فإنه تحكم بزمام هذه الآليات حين طبقتها على هذا الخطاب أكثر من تطبيقها على خطاب نقد الشعر. إن الرؤية التحليلية التي تبناها لحدادي تنطلق من تحديد أهداف الخطاب النقدي المدروس والمتن الذي يشغل عليه، مع ضرورة تحليل الممارسة النقدية عبر آليات "الوصف، التنظيم، التأويل، التقويم الجمالي، اختبار الصحة" وتفصيلها كما آتي (ينظر حميد حمدي، 2014، ص 18-24):

1- الأهداف: يتساءل ناقد النقد عن هدف الناقد من تحليل عمل أدبي معين وعن المنهج والرؤية التي ينطلق منها فقد تكون واضحة وواحدة ومصرح بها في التقديم وقد تكون المناهج متداخلة في دراسة واحدة وضمنية غير مصرح بها وقد يكون ما هو مصرح به وما هو معمول به والنتائج المتوصل إليها مختلفة فعلى ناقد النقد أن يتقفى المنهج من خلال المراجع المعتمدة، إحصاء المصطلحات، كما عليه أن يعاين مدى نجاح الآليات المطبقة.

2- المتن: على ناقد النقد أن يحدد المتن موضوع الدراسة النقدية، فقد يكون النص واحد ومحددا وقد يخرج الناقد منه إلى نصوص أخرى بغية الاستشهاد والتعليل، أو المقارنة وهنا ستصعب مهمة ناقد النقد عندما يختلط النص الأصلي بالنصوص الهامشية، وطبيعة

*- Johana Nathali : A propos des chats de Baudlaire in la logique du plausible

مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية	العدد: 08 الشهر 12 السنة: 2021م
ص 13 - ص 36 د. أمينة بن خاوة	إشكالية المنهج في الخطاب الميتافيزيقي العربي - دراسة في نماذج مختارة -

النصوص تحدد موقف ناقد النقد من الناقد من ناحية مقدرته على السيطرة على الموضوع ومهارته النقدية التحليلية

3- الممارسة النقدية: يرصد ناقد النقد مدى التطابق بين التطبيق والأطروحات النظرية للمنهج وآلياته، فقد يصل إلى أن الناقد يخرج عن إطار المنهج الذي أعلن عنه ويستمد آليات إجرائية من مناهج أخرى فيدمج بين المناهج دون أن يصرح بذلك وعليه قد ينحرف عن الأصول وقد يتطابق معها، وقد يخطئ أو يقصر، وعلى ناقد النقد أيضا أن يعاين التزام الناقد بشرطي العلمية والموضوعية لاسيما وإن كان قد أعلن عن هدفه من الالتزام بها، كما قد يتبنى الناقد الإجراء الحدسي فلا يتقيد بأي منهج رغم أنه قد يلجأ إلى دراسات تتبنى منهجا معينا كما على ناقد النقد أن يتتبع أهم العمليات التي يقوم بها النقاد أثناء الممارسة النقدية وهي:

أ- الوصف: وصف الناقد للأحداث، الشخصيات، المواقف، وقد لا يكون هذا الوصف داخليا وتحكم فيه مرجعية الناقد الواقعية والثقافية وهو ما تسميه جوهانا ناتالي " بقوانين الأساس "code de base" كما أن الوصف يختلف من منهج إلى آخر ومن مذهب إلى آخر ومن نظرية إلى أخرى أي أن الناقد يقيس النص (بمَشْكَلاته) بقانون الأساس الذي ينطلق منه.

ب- التنظيم: يعني وضع الناقد لنظام من الملامح المميزة للنص الدروس وتحديد الزاوية التي ينظر منها الناقد إلى النص والمنهج المتبع وقد تتداخل هذه الخطوة مع سابقتها الوصف، ولا حقتها، التأويل وهو يعطي للتحليل انسجاما وترتيباً منطقياً لوحداث التحليل «وهنا لا بد من الحديث عن اثر اختلاف المناهج النقدية في تحديد نظام الملامح المميزة للنص. ذلك أن ناقدا يتبنى منهجا نفسيا. سيهتم دون شك بالشخصيات، وبالعالم النفسى، وسيكون نظام الخصائص المميزة مشكلا من العقد النفسية وأنماط القلق والإحباط frustration وأنواع الشذوذ. أما الناقد البنائى فسيدرس الشخصية كعامل فاعل أو منفعل وسيعتبرها بمثابة دليل

مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية	العدد: 08 الشهر 12 السنة: 2021م
ص 13 - ص 36	إشكالية المنهج في الخطاب الميتافيزيقي العربي - دراسة في نماذج مختارة -
د. أمينة بن خاوة	

داخل عالم الرموز التي يحفل بها النص. وهكذا سيتكون نظام الملامح المميزة للنص من الأدوار المختلفة للأبطال والصراع الدائر بينهم» (حميد حمداني، 2014، ص21).

ج- التأويل: لا تعتمد كل المناهج على التأويل مثل الدراسات البنائية التي لا يهتمها التأويل في العملية التحليلية فبنية النص هي مولدة الدلالة، على عكس المناهج السياقية، والقراءة وعلى ناقد النقد أن يصاحب عملية التأويل وهي مهمة معقدة وصعبة لأن عمليات التأويل تطرح أسئلة وجودية ونفسية وتاريخية إضافة إلى مشاكل وحدود التأويل.

د- التقويم الجمالي: هذه الخطوة لم تهتم بها "جوهانا ناتلي" لأنها درست النماذج البنوية فقط التي درست قصيدة بودلير فعمل حمداني على إضافتها لأنه يرى بأنها ضرورية في دراسة النقد العربي نظرا لطبيعة هذا الأخير لأن الكثير من النقاد لجأوا إلى تقويم الأبنية الإبداعية وإبراز قيمها الجمالية، وهذه الخطوة قد تعتمد على مقاييس علم الجمال، أو قد يلجأ الناقد إلى مقارنة النصوص للوقوف على جمالياتها، وفي هذه الخطوة يتم الاستفادة من الوصف.

هـ - اختبار الصحة: إن المناهج ذات الطابع العلمي كالبنوية والشكلانية والشعرية تحرص على هذه الخطوة المتمثلة في إجراء تجربة فحص النتائج، وإظهار مدى مطابقتها لواقع نوع أدبي فصلاحيية المنهج تكمن في أن يكون قابلا للفحص وإعادة الاستخدام ويحقق نفس النتائج فليبرهن الناقد على صحة تصوره عليه أن يختبر الآليات نفسها على نصوص أخرى حتى يتمكن من إثبات فعاليتها الإجرائية، والنقد العربي لم يلتزم بهذه الخطوة كثيرا ولكن «هناك محاولات طفيفة للمصادقة على نتائج التحليل تتخلل العملية النقدية. وقد يتم الاكتفاء بالعودة إلى استطلاع بعض جوانب النص المدروس من أجل تأكيد النتائج المتوصل إليها أو يكتفى بعقد مقارنات مع نصوص أخرى من أجل إثبات فعالية الأداة المنهجية بالنسبة لمختلف الأنماط الروائية أو الشعرية، إلى غير ذلك من أشكال "اختبار الصحة" المعتادة» (حميد حمداني، 2014، ص24). ولكن حمداني يرى أن هذه الخطوة هي من مهام نقد النقد أكثر من النقد فهي مصاحبة لعمل ناقد النقد سواء في اختبار صحة المعلومات

مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية	العدد: 08 الشهر 12 السنة: 2021م
ص 13 - ص 36	إشكالية المنهج في الخطاب الميتافيزيقي العربي - دراسة في نماذج مختارة -
د. أمينة بن خاوة	

النظرية، وفحص سلامة النتائج التي تم الوصول إليها ومطابقتها للمنطلقات النظرية في حال اعتمد الناقد على نصوص هامشية للتعليل أو المقارنة ستعقد المهمة على ناقد النقد وقد تخرجه من إطار نقد النقد لتعيده إلى النقد لأنه سيضطر إلى تحليل الأعمال الإبداعية للوقوف على سلامة الطرح النقدي وعليه هذه الخطوة قد لا تشمل جميع مراحل العمل النقدي.

إن المتتبع لمنجز حميد لحداني سيجده وفيها لهذه الخطوات الإجرائية في دراسته للمتون النقدية -جلُّها في النقد الروائي- إذ يقول «سنحاول قدر الإمكان أن نلتزم في مجال التطبيق بهذه الخطوات، فمن شأن احترامها أن يجعلنا حريصين دائما على استيفاء معظم وجوه التحليل، علما بأن بين كل هذه الخطوات علاقات تداخل كبيرة، حتى أننا كثيرا ما شعرنا بأن الحدود بينها تنقلص إلى حد التداخل وذلك لأن ما هو إجرائي يميل دائما إلى تفكيك *déconstruction* المادة المدروسة وتشريحها في الوقت الذي تظل فيه هذه المادة متمسك بوحدها وتميزها في هذه الوحدات بالذات» (حميد لحداني، 2014، ص 25).

فطبيعة الخطاب المدروس تحتم على الدارس التخلي في بعض المرات على إحدى الخطوات، والحق أن اتباعه لهذه المنهجية جعلت دراسته منظمة وواضحة تسير وفق خطا محددة وثابتة، هدفها واضح (الأهداف، المتن، الممارسة النقدية)، فهي قراءة ابستمولوجية واصفة رأى فيها لحداني مقدرة كبيرة على استكناه الخطاب النقدي وتحقيق الموضوعية كما أنه لم يبق حبيس الخطوط التي حددتها "جوهانا ناتالي" فأضاف ما يلائم طبيعة النقد العربي ونقصد بذلك الخطوتين الأخيرتين "التقويم الجمالي، اختبار الصحة" لقد طبق لحداني هذه المنهجية في كتابه سحر الموضوع من خلال تحليله لنموذجين أحدهما في النقد الموضوعاتي للرواية متمثلا في "المنتمي، دراسة في أدب نجيب محفوظ" لغالي شكري، والآخر في النقد الموضوعاتي للشعر متمثلا في كتاب "عبد الكريم حسن" "الموضوعية البنيوية"، وسار على نفس الخطى في كتابه النقد الروائي والايديولوجيا؛ من سوسيولوجيا الرواية إلى سوسيولوجيا النص الروائي

مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية	العدد: 08 لشهر 12 السنة: 2021م
ص 13 - ص 36	إشكالية المنهج في الخطاب الميتانقدي العربي -دراسة في نماذج مختارة-
د. أمينة بن خاوة	

(المركز الثقافي العربي، المغرب، الطبعة الأولى، 1990)، ودرس عمليْن أولهما "البطل المعاصر في الرواية المصرية" لأحمد إبراهيم الهواري أما الكتاب الثاني "الرواية والواقع" لمحمد كامل الخطيب، و بنفس المنهجية درس كتاب بناء الرواية لسيزا قاسم في عمله بنية النص السردي (من منظور النقد الأدبي) (المركز الثقافي العربي، المغرب، الطبعة الأولى، 1991). ونلاحظ في هذه الأعمال الثلاث اعتماد التقسيم المنهجي نفسه؛ تقديم المنهج في أصوله عند الغرب، تلقيه في النقد العربي (نظريا من خلال عملية استقراء، تطبيقيا على عمل نقدي يتتبع الخطوات المذكورة آنفا) ورغم ذلك لم يحظ خطابه بالعناية اللازمة ولم يتبناها باحثون آخرون ذلك أن لحمداني لم يستعمل أداة العنوان كعتبة ملفتة لانتباه القارئ لخطاب ميتانقدي منهج وواع.

3.4 ضوابط نقدُ التراث العربي عند محمد مفتاح:

في المحور الثالث من كتاب محمد مفتاح، "النص من القراءة إلى التنظير" الموسوم "المنهجية ونقد النقد" تطرق الناقد إلى آليات القراءة الميتانقدية إلى جانب منهجية قراءة النصوص الإبداعية وخصوصية الخطاب الشعري وحاجته إلى منهجية مخصوصة، يتوجه "محمد مفتاح" إلى الناقد العربي بضرورة تحييص النقد الغربي والنقد العربي القديم من خلال نقدهما قبل تبنيهما وإنجاز خطاب ذو خصوصية عربية، وهو تحييص يقوم على قراءة ابستمولوجية؛ إذ يقول «نظن أن الوقت قد حان للناقد العربي أن يقف محصا ولكن بموضوعية وتجرد، لكل ما يرد عليه من أنواع المقاربات النقدية الأجنبية، وأن يبتعد عن التقليد الأعمى بغية التكاثر بالمصطلحات، وقصدا للتطبيق الفج، لذلك، فإن الناقد العربي ملزم بأن يخضع تلك المقاربات إلى التحليل الابستمولوجي والتأريخي، ومطلوب منه أن يمارس على واضعيها وممارسيها ما يدعى بعلم اجتماعيات المعرفة، إذ ليس من المنطقي والمعقول أن يقبل الناقد العربي كل ما يفد عليه، ويعتبره علما مطلقا لا يأتيه الباطل، مع أنه من وضع أناس مشروطين بظروف معيشية ومعتقدية. كما نظن أن الوقت قد حان للناقد

مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية	العدد: 08 لشهر 12 السنة: 2021م
ص 13 - ص 36	إشكالية المنهج في الخطاب الميتافيزيقي العربي - دراسة في نماذج مختارة -
د. أمينة بن خاوة	

العربي أيضاً، أن يقف الموقف نفسه من مخلفات الأسلاف في البلاغة وفي النقد وفي غيرها» (محمد مفتاح، 2000، ص 105). يشاطر مفتاح لحمداني رؤيته في ضرورة الاستفادة من الدراسات الابستمولوجية المعاصرة لتحقيق قراءة ذات طبيعة موضوعية تتضمن بعداً ثقافياً من خلال تحليل الأبعاد التاريخية للمناهج الغربية والنقد العربي القديم وبعداً علمياً من خلال تأسيس منهج تحليلي ابستمولوجي.

من خلال معاينة محمد مفتاح لكتب نقد النقد العربية لاحظ أنها ليست سوى مجموعة آراء متناثرة وفردية طليقة من أي قيد يصعب تحديد مجالها بسبب عدم تقيدها بمنهجية محددة ولا ترقى بنقد النقد إلى مستوى النظرية لأن «أية نظرية - كما هو معروف - يقوم بناؤها على مفاهيم أولية غير محددة ومفاهيم فرعية محددة، هذه المفاهيم جميعها هي ما يطلق عليه اسم اللغة الواصفة، وعلى مجموعة من الفروض منسجمة قابلة لأن تخضع للتمحيص بمعطيات لتأكيداتها أو تزييفها، وتبرير هذه اللغة الواصفة بواسطة عمليات منظمة هي ما يطلق عليه اسم المنهاج، أي أنه تلك المسطرة التي تتبع للوصول إلى نتائج مطابقة لمتطلبات النظرية. في ظل هذه الأدبيات المعروفة حول النظرية والمنهاج، يتساءل القارئ: هل تحققت بعض هذه الشروط الأولية فيما أنجز في ميدان "نقد النقد" الذي تناول أعمالاً قديمة؟» (محمد مفتاح، 2000، ص 127). إن الحديث عن منهجية في نقد النقد عند محمد مفتاح أو غير من نقاد النقاد لا يعني الصرامة في تطبيق آليات وخطوات إجرائية محددة من قبيل معادلات رياضية لأننا نشغل في إطار العلوم الإنسانية وشتان بين مناهج العلوم الإنسانية والعلوم التجريبية الأخرى يقول "محمد مفتاح" في هذا السياق إن الدعوة لمنهج تحليلي مقيد بضوابط علمية وإجرائية «وإن كانت ضرورية فإنها يجب أن لا تفهم بالمعنى الوضعي الفج،... وإذا ما أُحِّ على ضرورة توافر الباحث على نظرية محكمة في منهجية مضبوطة، فإنه يقصد بذلك معنى مرناً» (محمد مفتاح، 2000، ص 124). يجب الإشارة إلى أن هذه الدعوة إلى المنهج التحليلي الابستمولوجي ولاسيما الضوابط المقترحة تخص

العدد: 08 الشهر 12 السنة: 2021م	مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية
إشكالية المنهج في الخطاب الميتانقدي العربي-دراسة في نماذج مختارة-	ص 13 - ص 36 د. أمينة بن خاوة

بالأساس نقد نقد الكتب التراثية "البلاغية والنقدية" وعليه قدم رؤية تحليلية أوجزها في ثلاث مقولات: (ينظر محمد مفتاح، 2000، ص124-127)

1: ضرورة ضبط الحدود بين البلاغة والنقد لإقامة جسور بينهما: لا بد من البحث في الخلفيات التاريخية والمعرفية والإيديولوجية التي وراء نشأتهما، وإدراك اختلاف اللغة الواصفة لكل منهما من أجل تصنيف الكتب في باب البلاغة أو النقد.

2: ضرورة ضبط معنى النظرية والمنهاج: هذه الخطوة لا بد أن تستند إلى الاستيمولوجية في تحليل اللغة الواصفة التي يقوم عليها المنهج والنظرية، والملاحظ أن بعض الكتب التراثية لا يمكن إخضاعها لهذا الشرط لأنها لا تشكل نظرية.

3: متطلبات "نقد النقد" يحتاج نقد النقد تضافر العلوم "التاريخ، تاريخ العلوم، الفلسفة..." من أجل تحديد الخطوات التي يسير عليها ناقد النقد.

والسؤال المطروح هل يمكن تطبيق هذه الخطوات في الممارسة الميتانقدية بشقيها النظري والتطبيقي وفي غير باب التراث؟ أجل يمكن إخضاع الخطاب النقدي للمنهج التحليلي الاستيمولوجي كما يمكن التقييد بالشرطين الأخيرين لأنها شروط عامة، ورغم هذا لم يحدد "محمد مفتاح" آليات اشتغال المنهج التحليلي الاستيمولوجي وهي رؤية فردية تشترك مع رؤى مغربية في ضرورة العمل في الحقل الاستيمولوجي، ولكنها تبقى جهود فردية لم يتم تبنيها وإنتاج خطابات تؤكد على صحتها حتى تتمكن من الحكم عليها بأنها ارتقت إلى مستوى النظرية.

العدد: 08 الشهر 12 السنة: 2021م	مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية
إشكالية المنهج في الخطاب الميتانقدي العربي-دراسة في نماذج مختارة-	ص 13 - ص 36 د. أمينة بن خاوة

خاتمة:

من خلال ما سلف نستنتج اختلاف منهج القراءة الميتانقدية العربية من باحث لآخر نظرا لحدثة هذا المجال المعرفي التي أدت إلى غياب رؤية معرفية راسخة المعالم، وغياب الوعي بضرورة تأسيس نظرية في نقد النقد من باب استسهال الممارسة أو التعالي الذي يستشعره ناقد النقد في الكثير من المرات وهذا ليس حكرا على المنجز العربي، فالوضع في الغرب سيان.

كتب نقد النقد العربية اشتغلت على مراجعة تلقي النقد العربي للمناهج الغربية أو تطبيقات هذه المناهج في الوطن العربي، وعمل في هذا الباب جابر عصفور، محمد برادة، حبيب المونسي، سامي أحمد سويدان، عمر عيلان، محمد مفتاح. الدراسات في هذا المجال لم تتمكن من الخروج من باب الوصف السلبي وصياغة الخلاصات وتتبع الأخطاء أو ما يسمى بالانتقاد كما رأينا مع حبيب المونسي.

إن الوعي بضرورة القراءة المنهجية على قلته إلا أنه كان حاضرا في المنجز العربي ولمناه عند سامي أحمد سليمان وبالخصوص في نقد النقد المغربي مع حميد لحداني، محمد مفتاح، محمد الدغمومي كما يشترك نقد النقد المغربي في الدعوة إلى القراءة الاستيمولوجية الوصفية المحايدة، ولكن هذه الجهود على أهميتها تبقى جهودا فردية تحتاج إلى توحيد الرؤية والأدوات المنهجية بغية الارتقاء بنقد النقد إلى مستوى النظرية، كما أنها لا تحدد رؤية منهجية عامة لنقد النقد، فمنهجية حميد لحداني التي أخذها عن الباحثة الاستيمولوجية "جوهانا ناتالي" تصلح مع نقد النقد التطبيقي، في حين المنهج التحليلي الاستيمولوجي الذي دعا إليه محمد مفتاح طبقة في نقد نقد التراث.

ومهما يكن من أمر فقد تحتم على نقد النقد -على الأقل في سياقه المغربي - ألا يخرج عن القراءة الوصفية المحايدة التحليلية التي تعتمد على علم المعرفة (الاستيمولوجيا)، وهو بحاجة إلى مزيد من الجهود من أجل صياغة نظرية عامة تمتلك جهازها الاصطلاحي وآلياتها المستقلة عن النقد الأدبي.

مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية	العدد: 08 الشهر 12 السنة: 2021م
ص 13 - ص 36 د. أمينة بن خاوة	إشكالية المنهج في الخطاب الميتانقدي العربي - دراسة في نماذج مختارة -

قائمة المصادر والمراجع:

- 1- محمد، باقر جاسم. (يناير-مارس 2009). نقد النقد أم الميتانقد؛ محاولة في تأصيل المفهوم. عالم الفكر. المجلد 37، العدد 3، ص 107- 128.
- 2- الدغموي، محمد. (1999). نقد النقد وتنظير النقد العربي المعاصر (ط1). الرباط: منشورات كلية الآداب.
- 3- عصفور، جابر. (1998). نظريات معاصرة. القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب.
- 4- لحداني، حميد. (2014). سحر الموضوع؛ عن النقد الموضوعاتي في الرواية والشعر (ط2). فاس- المغرب: أنفو سال.
- 5- هارون، رشيد (2012، حزيان). الأسس النظرية لنقد النقد. مجلة بابل، المجلد 2، العدد 1، ص 121- 145.
- 6- سليمان أحمد، سامي. (2006). حفريات نقدية، دراسات في نقد النقد العربي المعاصر (ط1). القاهرة: مركز الحضارة العربية.
- 7- عيلان، عمر. (2010). النقد العربي الجديد؛ مقارنة في نقد النقد 3 (ط1). الجزائر: منشورات الاختلاف، لبنان: الدار العربية للعلوم ناشرون.
- 8- المونسسي، الحبيب. (2007). نقد النقد، المنجز العربي في النقد الأدبي؛ دراسة في المناهج (ط1). وهران- الجزائر: منشورات دار الأدب.
- 9- برادة، محمد. (2005). محمد مندور وتنظير النقد العربي (ط1). القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة.
- 10- عبيد، محمد صابر. (2011). اللغة الناقدة؛ مداخل إجرائية في نقد النقد (ط1). سورية: دار الحوار.
- 11- صليبا، جميل. (1982). المعجم الفلسفي (ط1). لبنان: دار الكتاب اللبناني.
- 12- مفتاح، محمد. (2000). النص من القراءة إلى التنظير (ط1). الدار البيضاء: شركة النشر والتوزيع -المدارس-.